مقدّمة حول الشعرية العربية

اهتمت الشعرية العربية القديمة بنظرية الأدب نقدا وتجنيسا وتوصيفا وتصنيفا، كما يبدو ذلك جليا عند ابن طباطبا العلوي، وقدامة بن جعفر والباقلاني، وابن وهب، وابن سنان الخفاجي، وأبو هلال العسكري، والجاحظ، وأبو القاسم بن عبد الغفور الكلاعي، وابن رشيق القيرواني، وحازم القرطاجني، والسجلماسي وغيرهم كثير، حيث اهتم هؤلاء بدراسة الشعر وخصائصه التي تميزه عن باقي الأجناس الأدبية، فانصب اهتمامهم على: مفهوم الشعر ووظائفه، كما تطرقوا إلى صناعة الشعر، وعمود الشعر العربي، ونظرية النظم، والمحاكاة والتخييل، وتقعيد الشعر، والبحث عن الحداثة الشعرية تحولا وعدولا وانزياحا ومعاصرة، كما انصبّ اهتمامهم بعملية التجنيس والتصنيف الأدبي، وما نظرية الأغراض الشعرية(مدح -فخر -هجاء -وصف، ورثاء، وغزل...) التي أسهب في الحديث عنها ابن قتيبة و غيره سوى دليل قاطع على اهتمام نقادنا العرب القدامى بالشعرية وعملية التجنيس؛ حيث ميزوا، في البداية، بين اللغة الأدبية الفنية واللغة المعيارية، فتوصلوا إلى أن الأدب يتّصل اتصالا وثيقا باللغة؛ لأنه تشكيل لغوي؛ إذ يستخدمُ الأديب اللغة بوصفِها أداة للتعبير عمّا يريد في نصه الأدبي سواء أكان شعرا أم نثرا، ويتميّز الأدب بأسلوبه التصويري والإيحائي الذي يكسبه طاقة تأثير عالية، فهو يجسد رؤية فنية متكاملة للحياة أو العالم، وبذلك يقدم حقيقة جديدة أو مجموعة من الحقائق للمتلقي بأسلوب غير مباشر، وبالتالي توصلوا إلى قناعة أن اللغة الأدبية تختلف عن اللغة التي يهدف من خلالها المتكلم إلى التواصل مع الناس، كما ميزوا بين الشعر والنثر، وتحدثوا عن أفضلية كل واحد منهما، كما وقفوا طويلا عند الفنون النثرية: المقامة -الخطبة -الوصية -الحكم -الأمثال وغيرها وتحدثوا عن خصائصها الفنية وميزتها اللغوية ، و لم يقتصر هذا الاهتمام بالشعرية على النقاد العرب فحسب، بل امتد إلى الفلاسفة المسلمين أنفسهم أمثال (الفارابي، وابن سينا، وابن رشد...) وخاصة بعد ترجمة الكثير من الأعمال اليونانية القديمة وبخاصة كتاب فن الشعر لأرسطو.

كما اهتم النقاد والفلاسفة واللغويون والبلاغيون وعلماء التفسير بصناعة الشعر من حيث المضمون والشكل والوظيفة، وركزوا على مظاهر الإعجاز القرآني، وبلاغة الحديث النبوي وبيانه، ودرسوا شعرية بشار بن برد، وأبو تمام والبحتري وشعرية المتنبي وغيرهم؛ فتوقفوا عند تجليات شعرية ونقدية مهمة كقضية الغموض الشعري، وقضية القدم والحداثة، وقضية الثبات والتحول، وقضية الطبع والصنعة، وقضية اللفظ والمعنى، وقضية بناء القصيدة الشعرية، وقضية الوحدة الموضوعية والعضوية، وقضية الصورة الشعرية، وقضية عمود الشعر العربي، وقضية المحاكاة والتخييل، وقضية المعنى والإحالة، وقضية السرقات الشعرية، وقضية الفن والدين، وقضية البيان والتبين، وقضية الإيقاع العروضي، وقضية رواية الشعر ونحله وانتحاله، وقضية البديع والتوليد الشعري، وقضية الكساد الشعري، وقضية المفاضلة بين الشعر والنثر، وقضية النظم، وقضية صناعة الشعر، وقضية المصطلح النقدي، وقضية البيئة، وقضية علاقة الشعر بالفلسفة والمنطق....